

محمد فداء الدين عبدالمعطي بمجت

"أهداف المحاسبة في اقتصاد إسلامي"

جدة : مجلة جامعة الملك عبدالعزيز : الاقتصاد الإسلامي

المجلد ٦، (١٤١٤هـ/١٩٩٤م)، ص ص ٣-٢٨

تعليق : محمود المرسي لاشين

أستاذ المحاسبة - جامعة أم القرى

مكة المكرمة

#### ١ - المقدمة

أ - اعتمد الباحث في المقدمة على فرضية مؤداها: (تركيز الفكر الاقتصادي الرأسمالي على هدف تعظيم الربح)، واستند على ذلك في الوصول إلى نتيجة تفيد أن سعى المنتجين لتعظيم الربح أدى إلى آثار جانبية ضارة بالمجتمع والبيئة.

ويمكن الاتفاق مع هذا الرأي في حالة واحدة وهي أن كل أفراد المجتمع الرأسمالي يسعون - في منشآتهم التي تهدف إلى تحقيق الأرباح - إلى تعظيم أرباحهم على حساب إفساد البيئة ودون النظر إلى ما يترتب على نشاطهم من أضرار، وهذا غير متطابق تماماً مع الواقع، حيث قد يحدث الإضرار بالبيئة والمجتمع من منشآت تحقق خسائر أو تحقق أرباحاً متصاغرة، كما أن المنشآت الناجحة والتي تتعاطم أرباحها قد تساهم في تحسين وتطوير وسائل إنتاجها وتخفيض معدلات التلوث وغيرها من عوامل الإضرار بالمجتمع والبيئة، فضلاً عن أن القوانين والأنظمة في هذه الدول تحد من ذلك.

ب - قرر الباحث في المقدمة أيضاً (ص ٤ من البحث) أن المحاسبة: (علم تابع ... يقدم المعلومات التي تخدم تحقيق الأهداف الاقتصادية المرسومة والمتفق عليها في المجتمع .. لكي يتم الحكم .. على مدى تحقيق هدف تعظيم الربح).

لا يمكن الاتفاق مع هذا الرأي وحصر أهداف المحاسبة في الحكم على ما إذا كان هدف تعظيم الربح الذي يسعى إليه أصحاب الأعمال قد تحقق أم لا، فالهدف من المحاسبة قد تم تحديده من قبل هيئات ومؤسسات رسمية وجمعيات مهنية. فعلى سبيل المثال صدر بذلك في المملكة العربية السعودية قرار وزارة التجارة رقم ٦٩ وتاريخ ٢٨/٢/١٤٠٦ هـ .

وبالرجوع إلى الملحقين (١) و (٢) الذين أوردهما الباحث ص ص ٢٥-٢٧ لبيان أهداف القوائم والتقارير المالية وما أورده الباحث في بداية القسم ٤ من بحثه (ص ٨) وكذلك إلى قرار وزارة التجارة المشار إليه، لا نجد ضمنها ما يؤكد ما ذهب إليه الباحث، بل جميعها تؤكد أن هذه القوائم والتقارير تقدم المعلومات المفيدة لأطراف عديدة سواء داخل المنشأة أو خارجها لكي تساعد في اتخاذ القرارات.

## ٢ - أهداف النشاط الاقتصادي في الإسلام

في رأي الباحث (ص ٥) أن خير تلخيص لأهداف النشاط الاقتصادي في الإسلام ما ورد في الآية الكريمة ﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين ﴾ [ القصص: الآية: ٧٧].

والباحث لم يرجع إلى كتب الاقتصاد الإسلامي لاستقراء أهداف النشاط الاقتصادي - وما أكثرها - باستثناء بعض الكتب التي ذكرها عند كلامه في القسم ١٢ عن أهداف المحاسبة في اقتصاد إسلامي (ص ص ٢٠-٢٢)، ولم يرجع كذلك إلى كتب التفسير لمعرفة سبب نزول هذه الآية الكريمة ومعناها.

وقد لفت فضيلة الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي نظر الباحث - كما ذكر ذلك في الهامش رقم ٧ - إلى أن الآية الكريمة مرتبطة بالآية التي قبلها مباشرة .. وكان على الباحث أن يأخذ ذلك بعين الاعتبار.

### ٣ - منهج البحث

انطلق الباحث (ص٦) "من الافتراض بأن أهداف المحاسبة هي أهداف نابغة ومشتقة من أهداف النشاط الاقتصادي" وكما قرر في القسم من بحثه دون الرجوع إلى المتخصصين في الاقتصاد الإسلامي أو إلى كتب التفسير - أن الآية رقم ٧٧ من سورة القصص هي خير تلخيص لأهداف النشاط الاقتصادي في الإسلام.

والباحث بذلك يغفل ما اتفق عليه الباحثون والهيئات والجمعيات - كما سبق أن أشرنا في المقدمة - ويتعارض ذلك مع ما ذكره الباحث تحت القسم (٤) من بحثه (ص٩): "وعلى ذلك فالمنتج النهائي للمحاسبة المالية يتمثل في القوائم المالية التي يتم إعدادها كملخص للمعلومات التي سجلتها وبوتها المحاسبة".

وهذا هو ما أجمعت عليه المعاهد والهيئات ومراكز البحث، وعلى سبيل المثال تنص الفقرة رقم (٥١) من قرار وزارة التجارة سالف الذكر على أنه: "يتم تحديد أهداف المحاسبة المالية كأحد أجزاء الإطار الفكري في المملكة العربية السعودية انطلاقاً من تعريف منتجاتها وعليه فقد ركز في تحديد أهداف المحاسبة المالية في هذا البيان على القوائم المالية لكونها المنتج النهائي للمحاسبة المالية".

ويمكن القول بأن الهدف الأساسي للمحاسبة المالية يتلخص في تزويد صانع القرار بالمعلومات المفيدة - والتي يمكن استخلاصها من القوائم والتقارير المالية - والتي تمكنه من اتخاذ قراره.

وتجدر الإشارة إلى أن هذا هو هدف المحاسبة سواء في اقتصاد إسلامي أو غيره، فالمحاسبة تقوم بتسجيل وتبويب الأحداث المالية وفق نظام متكامل الأركان وذلك لإنتاج البيانات والمعلومات وعرضها في صورة ملائمة لكي يمكن استخدامها بسهولة ويسر من كل من يهمله الأمر لتحقيق أهداف محددة.

#### ٤ - المحاسبة والقوائم المالية والتقارير المالية

تحدث الباحث تحت هذا العنوان (ص ص ٨-١٠) عن :

أ- تعريف المحاسبة وأنها نظام للمعلومات ..، ثم يقول: "وتنقسم المحاسبة بشكل عام إلى فرعين رئيسيين: محاسبة مالية، ومحاسبة إدارية ( فكأن الباحث يرى أن هناك محاسبة إدارية ومحاسبة مالية وأن الثانية فرع من الأولى، ذلك أن التعريف الأول الذي أورده هو تعريف للمحاسبة الإدارية؟ لا يستطيع أحد أن يقول بذلك. فالمحاسبة الإدارية تستخدم المعلومات المستمدة من المحاسبة المالية ثم تقوم بتطويرها وتفسيرها بما يساعد إدارة المنشأة في تسيير العمل بها، ومع هذا فإن المعلومات المستمدة من المحاسبة الإدارية تشمل غالباً تقويم عناصر غير مالية مثل: جودة المنتجات، رغبات العملاء، إنتاجية العاملين... الخ. وعلى هذا فالقول الذي يقترَب من الحقيقة أن نقول أن المحاسبة المالية هي الأصل لأنها تاريخياً هي التي ظهرت أولاً - ثم تجيء الفروع الأخرى للمحاسبة كي تستخدم المعلومات المستمدة من المحاسبة المالية وتقوم بتطويرها بأدواتها وأساليبها لتحقيق أهداف محددة مثل معرفة تكلفة المنتج (محاسبة التكاليف) أو مساعدة إدارة المنشأة في اتخاذ القرارات (المحاسبة الإدارية) أو التوصل إلى القدر الواجب أداءه إلى الدولة كزكاة (محاسبة الزكاة) أو كضريبة (المحاسبة الضريبية)، وهكذا .

ب- تحول الفكر المحاسبي المعاصر من الحديث عن أهداف القوائم المالية، كما كانت ترد في أبحاث ودراسات المعهد الأمريكي للمحاسبين القانونيين (AICPA) حتى عام ١٩٧٣، إلى الحديث عن أهداف التقارير المالية - كما وردت في دراسات مجلس معايير المحاسبة المالية في الولايات المتحدة الأمريكية (FASB) اعتباراً من عام ١٩٧٨، لأن مصطلح التقارير المالية أعم وأشمل من القوائم المالية.

والباحث بذلك يقصر الأدب المحاسبي الحديث على ما يكتب وينشر في الولايات المتحدة الأمريكية، رغم حدوث تطورات كبيرة في أوروبا في هذا المجال وخصوصاً في دول المجموعة الأوروبية التي كانت تعرف بالسوق الأوروبية المشتركة وسوف أتناول ذلك فيما بعد.

### ٥ - القيود على المعلومات التي يمكن أن تخرجها المحاسبة

أوضح الباحث بعض القيود التي تحكم العمل المحاسبي وفي (ص ١٢) ذكر عبارة عامة تقول: "ومن الضروري عند تحديد أهداف المحاسبة في اقتصاد إسلامي أخذ هذه القيود أو المحددات في الاعتبار"، دون أن يذكر كيف يمكن أخذ ذلك في الاعتبار من الناحية العملية.

### ٦ - التطور التاريخي لتحديد أهداف المحاسبة

استعرض الباحث تحت هذا العنوان بعض الكتابات والدراسات التي تمت في الولايات المتحدة الأمريكية ولكنه لم ينتبه إلى أنه صدر في أوروبا، وتحديدًا في ١٩٧٨/٧/٢٥، عن مجلس وزراء دول مجلس التعاون الاقتصادي الأوروبي European Economic Community- EEC والذي من أهم أهدافه خلق سوق أوروبية مشتركة European Common Market - "التعليمات الرابعة" والخاصة بإحداث التناسق في إعداد الحسابات الختامية، والميزانية في شركات دول المجموعة الأوروبية<sup>(١)</sup>:

وبدلاً من استخدام مصطلح القوائم المالية أو التقارير المالية التي تعد في نهاية السنة المالية أطلقت التعليمات الرابعة عليها مصطلحاً جديداً أسمته "ختام السنة" وهو ما كان معروفاً في الأدب المحاسبي الألماني بـ Jahresabschluss. وحددت الفقرة رقم (١) من المادة رقم (٢) من التعليمات الرابعة أن ختام السنة في جميع الدول الأعضاء يتكون من: الميزانية وحساب الأرباح والخسائر (قائمة الدخل) والملحق المتعلق بختام السنة، وتشكل هذه الوثائق وحدة واحدة<sup>(٢)</sup>.

وليس هنا مجال الحديث عما تحويه هذه التعليمات من مبادئ التقويم وغيرها وكذلك البدائل المطروحة لإعداد الميزانية وحساب الأرباح والخسائر (قائمة الدخل) وكذلك الملحق. ولقد قامت دول المجموعة الأوروبية بتغيير قوانين الشركات في كل منها (على سبيل المثال: بلجيكا وفرنسا

(١) يقول Choi عن :

Fourth Directive: "This 1978 directive was a breakthrough for EC company law harmonization. It took over ten year to reach consensus on its content, and it represents an important compromise between the legalistic (statute-based) approach to accounting and financial reporting prevailing in continental Europe and the fair presentation (case-by-case justification) approach prevailing in the English-speaking countries", Choi, p. 12.

(٢) قام كاتب التعليق بإجراء دراستين حول هذه التعليمات، الأولى تحت عنوان: "القوائم المالية للشركات في دول السوق الأوروبية المشتركة..."، عرض وتحليل للتعليمات رقم (٤) الخاصة بختام السنة للشركات الصادرة عن السوق الأوروبية المشتركة، المجلة العلمية لكلية التجارة - جامعة الأزهر ١٩٨٥، والثانية بعنوان: دور التعليمات الرابعة والخاصة بالشركات في إحداث التناسق في تصوير الحسابات الختامية والميزانية في دول السوق الأوروبية المشتركة، المجلة العلمية للاقتصاد والتجارة - كلية التجارة - جامعة عين شمس، ١٩٩٠.

وهولندا في ١٩٨٣/١٢/٣١؛ وبريطانيا في ١٩٨٦/٦/١٤، وألمانيا في ١٩٨٦/١٢/٣١) مع تضمينها المبادئ والقواعد التي أوردتها التعليمات الرابعة، وكم نحن بحاجة إلى دراسة هذه التجربة الهامة لنستفيد منها في إحداث التناسق بين شركات دول مجلس التعاون الخليجي.

#### ٧- أهمية تحديد أهداف المحاسبة

لا يختلف مع الباحث فيما ذكره حيث إن ذلك من الأمور المستقرة بين المشتغلين والمهتمين بالشأن المحاسبي.

#### ٨- اختلاف أهداف المحاسبة في اقتصاد إسلامي

لا نتفق مع الباحث في أن المحاسبة في اقتصاد إسلامي تحتاج إلى أهداف تختلف عن تلك الموجودة في اقتصاد غير إسلامي، فما تتضمنه القوائم أو التقارير المالية من بيانات ومعلومات تلي جزءاً كبيراً من احتياجات كافة الأطراف من المعلومات بما في ذلك الأطراف الخارجية، وهذه النقطة - كما يذكر الباحث (في الفقرة الأخيرة ص١٣) تمثل محور الأهداف التي تم تحديدها فيما بعد. وهذا في رأي كاتب التعليق لا يختلف سواء أكانت المحاسبة تقوم بوظيفتها في اقتصاد إسلامي أو غير إسلامي، وإذا كان في الاقتصاد الرأسمالي معاملات محرمة شرعاً، فالمفروض أن لا تقع في اقتصاد إسلامي، وبالتالي فلا يكون للمحاسبة دور في منع حدوثها، وإنما التربية الإيمانية لمجموع أفراد المجتمع المسلم هي التي تقوم بتوجيه الاقتصاد الوجهة التي يريدها الإسلام. وهذه التربية الإيمانية هي التي تضبط الاقتصاد بأحكام الإسلام الشرعية<sup>(٣)</sup>.

#### ٩- مستخدمو المحاسبة والتقارير في اقتصاد إسلامي

ما جاء تحت هذا العنوان يعتبر تفصيلاً لما قبله ويندرج تحته حيث إن فئات المساهمين والمستثمرين والمتعاملين مع الوحدة المحاسبية - المنشأة - وأجهزة الدولة والإدارة وغيرهم هم الذين يحتاجون إلى المعلومات والبيانات التي تتضمنها القوائم والتقارير المالية. ويرى الباحث في الهامش رقم (٢٠) أن هذه الفئات تمثل أيضاً المستخدمين الرئيسيين من القوائم المالية في اقتصاد إسلامي، وهو يفترض أن هذه الفئات تسعى لتحقيق الأهداف التالية: إرضاء الله عز وجل، تنمية أموالهم وتحقيق دخل ملائم، المساهمة في تنمية ورفعة المجتمعات الإسلامية.

(٣) القرضاوي، ص٣٨.

وهذه كلها أمور لا تتحقق من خلال المحاسبة، وإنما من خلال التربية الإيمانية لأفراد المجتمع المسلم ومن خلال الوعي والحس الديني لدى أفراد هذا المجتمع، فضلاً عن دور الدولة وأجهزة الرقابة والمحاسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها.

#### ١٠ - القرارات الاقتصادية الفردية ودورها في تنمية المجتمع

لا علاقة لهذا العنوان وما جاء تحته بموضوع البحث سواء بطريق مباشر أو غير مباشر.

#### ١١ - الإطار العام لأهداف المحاسبة في اقتصاد إسلامي

باستثناء النقطتين (١) و (٤) اللتين أوردتهما الباحث (ص١٩) تحت هذا العنوان، وهي الاتفاق مع أحكام الشريعة الإسلامية وإرضاء الله عز وجل، وهي أمور لا تتحقق من خلال المحاسبة وإنما من خلال التربية الإيمانية للفرد كما سبق أن ذكرت، فإن الباحث لجأ إلى ما سبق أن استقر في الفكر والتطبيق المحاسبي، غير أنه يطلب مطابقته على أحكام الشريعة الإسلامية .

#### ١٢ - أهداف المحاسبة في اقتصاد إسلامي

خلص الباحث تحت هذا العنوان إلى تحديد أهداف المحاسبة في اقتصاد إسلامي كالآتي:

(أ) وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة . (ب) ولا تنس نصيبك من الدنيا.

(ج) وأحسن كما أحسن الله إليك. (د) ولا تبغ الفساد في الأرض.

وهي الآية رقم ٧٧ من سورة القصص التي أوضح في مقدمة بحثه أنها خير تلخيص لأهداف النشاط الاقتصادي في الإسلام.

ورغم أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب إلا أنه كان من الواجب على الباحث وقد تعرض لآية من كتاب الله ﷻ أن يعود إلى المتخصصين وإلى كتب التفسير لاستجلاء حقيقة معناها وأسباب نزولها. فنحن أمام نص قرآني ولا مجال للخروج بالنص عن حدوده ومعناه. وفيما يلي ملخص لآراء بعض كبار المفسرين.

هذه الآية ملخص موعظة وجهها مؤمنو قوم قارون - وقيل إن الذي وجهها هو موسى عليه السلام - إلى قارون الذي وصل إلى حد البطر والتباهي والكبر والبغي، مع ما كان عنده من ثروة هائلة حصل عليها نتيجة اشتغاله بالعلوم، وخصوصاً الكيمياء - فأصابه الغرور. وتحكي قصته الآيات ٧٦-٨٣ من سورة القصص، من قوله تعالى: ﴿ إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم

وآتيانه من الكنوز ما إن مفاتحه لتتوء بالعصبة أولى القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين ﴿ إلى قوله : ﴿ قال إنما أوتيته على علم عندي ﴾ .

وملخص تفسير الآية التي اقتطعها الباحث من سياقها القرآني والتي يجب أن تفهم في إطار الآية التي قبلها<sup>(٤)</sup> أن قارون كان لديه الكثير من الكنوز التي حصل عليها - في ظنه - بسبب اشتغاله بالعلوم، وأنه كان فرحاً بما لديه باغياً وظالماً لقومه. فوجه إليه مؤمنو قومه هذه الموعظة كما هو ظاهرة الآية، وقيل إنها من موسى عليه السلام حيث قالوا له : ﴿ وابتغ فيما آتاك الله ﴾ من الكنوز والغنى ﴿ الدار الآخرة ﴾ أي ثوابها بصرف ذلك إلى ما يكون وسيلة إليه ﴿ ولا تنس نصيبك من الدنيا ﴾ أي حظك منها<sup>(٥)</sup>.

ويقول القرطبي: "عن ابن عباس ؓ والجمهور: لا تضيع عمرك في ألا تعمل عملاً صالحاً في دنياك .. وقال الحسن وقتادة: لا تضيع حظك من دنياك في تمتعك بالحلال وطلبك إياه ونظرك لعاقبة دنياك. قال (القرطبي): وهذان التأويلان قد جمعهما ابن عمر ؓ في قوله : احث لدنياك كأنك تعيش أبداً، وأعمل لآخرتك كأنك تموت غداً<sup>(٦)</sup>.

ويذكر ابن عطية في تفسيره: ﴿ ولا تنس نصيبك من الدنيا ﴾ "لا تنسى أنك تترك جميع مالك إلا نصيبك الذي هو الكفن، قال الشاعر :

نصيبك مما تجمع الدهر كله رداءً إن تلوى فيهما وحنوط<sup>(٧)</sup>

﴿ وأحسن كما أحسن الله إليك ﴾ يقول القرطبي: أي أطع الله وأعبده كما أنعم عليك، ومنه الحديث: ... ما الإحسان، قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإنك إلا تراه فإنه يراك ..<sup>(٨)</sup>.

(٤) سورة القصص، الآيات ٧٦-٧٨.

(٥) الألويسي، ج ٢، ص ١١٢.

(٦) القرطبي، ج ١٣، ص ٣١٤.

(٧) ابن عطية، ج ١١، ص ٣٣٠.

(٨) صحيح مسلم، ج ١، ص ٣٠.



وأورد القرطبي في تفسير ﴿ وأحسن كما أحسن الله إليك ﴾ أقوالاً كثيرة جماعها استعمال نعم الله في طاعة الله. ﴿ ولا تبغ الفساد في الأرض ﴾ يقول الألوسي (والمراد نهيه عن الاستمرار على ما هو عليه من الظلم والبغي).

وهكذا يتضح أن هذه الموعظة تصلح منهجاً للحياة والتربية لا أهدافاً للمحاسبة .

والله الهادي إلى سواء السبيل

### المراجع

- الألوسي، شهاب الدين السيد محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الفكر ، بيروت ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨ م .
- ابن عطية، عبد الحق الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز المعروف بتفسير ابن عطية، تحقيق وتعليق عبد الله بن إبراهيم الأنصاري وآخرين، مؤسسة دار العلوم، الدوحة، قطر ١٤٠٦/١٩٨٥م، الطبعة الأولى.
- القرضاوي، يوسف، دور القيم والأخلاق في الاقتصاد، مكتبة وهبة، القاهرة ١٤١٥-١٩٩٥.
- القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م.
- مسلم، أبي الحسين مسلم بن الحجاج، الجامع الصحيح، دار الفكر، بيروت، (بدون تاريخ).
- وزارة التجارة، المملكة العربية السعودية، أهداف ومفاهيم المحاسبة والمعتمدة بقرار معالي وزير التجارة رقم ٦٩٢ وتاريخ ١٤٠٦/٢/٢٨هـ، الرياض، بدون تاريخ .

**Choi, F. Handbook of International Accounting, New York: John Wiley and Sons , Inc, (1991) .**